8me Année No. 349

Lundi - 11 - 3 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٤٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ١١ مارس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة
٤٤١ عبقرية محمد السياسية ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٤٤٤ إنما يزدهر الأدب فى عصور الفوضى الاجتماعية ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٤٤٧ صراع اللغات ... ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
٤٤٩ العقلية الألمانية من خلال الدراسة اللغوية ... ... : الأستاذ أبو حيان ... ...
٤٥٠ عام الفيل وميلاد الرسول : الدكتور إسماعيل أحمد أدهم
٤٥٥ محمد تيمور : الممثل والناقد والمؤلف المصرى ... ... : الأستاذ زكى طليمات ... ...
٤٥٨ من وراء المنظار ... ... : «عين» ... ...
٤٥٩ ذكرى أخى الهراوى ... : الأستاذ على الجندى ... ...
٤٦٠ لقب السفاح ... ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٤٦٢ البعث ... ... [قصيدة] : الدكتور ابراهيم ناجى ... ...
٤٦٢ مطارف الربيع » : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٤٦٢ أناشيدى ... » : الأديب محمود السيد شعبان
٤٦٤ يا علماءنا ... نريد أن نعرف! : الأستاذ عزيز أحمد فهمى ...
٤٦٧ الكون يكشف عن نفسه — خفايا الضوء ... ... : الدكتور محمد محمود غالى ...
٤٧٠ نهاية الطريق ... [قصة] : ترجمة الأستاذ محمد بدر الدين
٤٧٦ رجحان ... . : الدكتور بشر فارس ... ...
٤٧٧ ارتجال المصادر ... ... : الأستاذ محمد أمين حسونة ...
الحجز على المتاع ... ... : أحمد محمد على ... ...
٤٧٨ استفهام — البروفسور ويلسن — حول لقب السفاح ...
حول لوبيا المجهولة ... ... : « أبو الوفاء » ... ...
٤٧٩ تصويبات فى العدد الممتاز ... : ... ...
« وحى الرسالة » ... ... : « المقتطف » ... ...

عبقرية محمد السياسية

للأستاذ عباس محمود العقاد

السياسة على معان كثيرة فى العرف الحديث . فمنها ما يكون بين بعض الدول وبعض من المراسم والعلاقات ، ومنها ما يكون بين هذه الدول من معاهدات وخطط فى أعمالها الخارجية ، ومنها ما يكون بين الراعى ورعيته أو بين الأحزاب والوزارات من برامج ودعوات ، ولكل معنى من هذه المعانى اصطلاحه فى العرف الحديث ، وإن جمعتها كلمة السياسة فى اللغة العربية

وقد تولى النبى عليه السلام أعمالاً كثيرة مما يطلق عليه لفظ السياسة فى عموم مدلوله ، ولكننا لا نعرف بينها عملاً واحداً هو أدخل فى أبواب السياسة وأجمع لضروبها وأبعد عن المشاركة فى صفة القيادة العسكرية أو صفة الوعظ العلنى أو سائر الصفات التى اتصف بها عليه السلام من عهد الحديبية فى مراحله جميعاً منذ ابتدأ بالدعوة إلى الحج إلى أن انتهى بنقض الميثاق على أيدى قريش

ففى عهد الحديبية تجلى تدبير محمد فى سياسة خصومه وسياسة أتباعه وفى الاعتماد على السلم والعهد حيث يحسنان ويصلحان ، والاعتماد على الحرب والقوة حيث لا تحسن المسالمة ولا تصلح العهود

بدأ بالدعوة إلى الحج فلم يقصره فى تلك السنة على المسلمين المصدقين لرسالته، بل شمل به كل من أراد الحج من أبناء القبائل

العربية التي تشارك المسلمين في تعظيم البيت والسعي إليه . فجعل له وللعرب أجمعين قضية واحدة في وجه قريش، ومصلحة واحدة في وجه مصلحتها ، وفصل بذلك بين دعواها ودعوى القبائل الأخرى ثم أفسد على قريش ما تعمدوه من إثارة نخوة العرب وتوجيهها إلى مناوئة محمد والرسالة الإسلامية . فليس محمد وأصحابه أناساً معزولين عن النخوة العربية يضمون من شأنها ويبطلون مفاخرها ، ولكنهم إذن حرب ينتصر بهم العرب ولا يذلون بانتصارهم ، أو يقطعون ما بينهم وبين آبائهم وأجدادهم . فإذا خالفوا قريشاً في شيء فذلك شأن قريش وحدهم أو شأن المنتفعين من قريش بالسيطرة على مكة ، وليس هو بشأن القبائل أجمعين

ثم أفسد على قريش من جهة أخرى ما تعمدوه من إغضاب العرب على الإسلام بما ادعوا من قطعه للأرزاق وتهديده للأسواق التي يعمرها الحاج ويستفيد منها الغادون إلى مكة والرائحون منها. فها هو ذا محمد نفسه يأخذ معه المسلمين إلى مكة كما يأخذ معه من شاء مصاحبته من غير المسلمين قصاد البيت الحرام ، فإذا حال بينهم حائل وبين ما يقصدون إليه فتلك جنايته وذلك وزره على نفسه وعلى قومه ، ولا وزر فيما أصاب الأرزاق أو أصاب الأسواق على المسلمين

وقد سمعنا كثيراً في العصور الحديثة عن المقاومة السلمية أو المقاومة التي تجتنب العنف ولا تعتمد على غير الحق والحجة .

سمعنا بها في الحركة الهندية التي قام على رأسها غاندي وتابعه فيها بعض مريديه ، حتى كان لها من الأثر في إزعاج الحكومة البريطانية ما لم يكن للقنابل ولا للمشاغبات الدامية

وقيل يومئذ إن غاندي قد تتلمذ في هذه الحركة للمصلح الروسي الكبير ليون تولستوي . وقيل بل هو أخرى أن يعرفها من آداب البرهميين والبوذيين التي تحرم إيذاء الحيوان فضلاً عن الإنسان قبل أن يشرع ليون تولستوي مذهبه الجديد

والذين قالوا بهذا الرأي الأخير استبعدوا أن يتفق المسلمون والبرهميون والبوذيون على حركة غاندي وتبشيره بتلك المقاومة السلبية لاعتقادهم أن الإسلام قد شرع القتال فلا يوائم المسلمين ما يوائم البوذيين والبرهميين من اجتناب القوة والتزام السلم وترك المقاومة .

لكن المثل الذي قدمه النبي صلوات الله عليه في رحلة الحديبية ينقض ما توهموه ويبين لهم أن الإسلام قد أخذ من كل وسيلة من وسائل نشر الدعوة بنصيب يجري في حينه مع مناسباته وأسبابه، فلا هو ركن إلى السيف وحده ولا إلى السلم وحده ، ولكنه يضع كليهما حيث يوضع ، ويدفع بكليهما حيث ينبغي أن يدفع ، وهو الحكم المتصرف حيث يختار ما يختار ، وليس بالآلة التي يسوقها السلم أو الحرب مساق الاضطرار

وقد خرج النبي إلى مكة في رحلة الحديبية حاجاً لا غازياً يقول ذلك ويكرره ويقيم الشواهد عليه لمن سأله ، ويثبت نية السلم بالتجرد من السلاح إلا ما يؤذن به لغير المقاتلين

فلم يفصل بهذه الخطة بين العرب وقريش وحسب ، بل فصل بين قريش ومن معهم من الأحابيش ، وجعل الزعماء وذوي الرأي يختلفون فيما بينهم على ما يسلكون من مسلك في دفعه أو قبوله أو مهادنته ، وهو عليه السلام يكرر الوساة لأتباعه بالمسالمة والصبر منعاً للاتفاق بين خصومه على قرار واحد ، وقلّ من أتباعه من أدرك قصده ومرماه حتى الصفوة المختارين

ولما اتفق الطرفان ـ المسلمون وقريش ـ على التعاهد والتهادن كانت سياسة النبي في قبول الشروط التي طلبتها قريش غاية في الحكمة والقدرة « الدبلوماسية » كما تسمى في اصطلاح الساسة المحدثين

دعا بعليّ بن أبي طالب فقال له : « أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم »

فقال سهيل بن عمرو مندوب قريش : أما الله ! لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل اكتب باسمك اللهم

فقال النبي : أكتب باسمك اللهم

ثم قال : أكتب « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل ابن عمرو »

فقال سهيل : أما الله ! لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك

وروى أن علياً تردد فمحا النبي ما كتب بيده ، وأمره أن يكتب « محمد بن عبد الله » في موضع محمد رسول الله

ثم تعاهدوا على أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً من رجال محمد لم يردوه عليه ، وأنه

من أحب من العرب محالفة محمد فلا جناح عليه ، ومن أحب محالفة قريش فلا جناح عليه ، وأن يرجع محمد وأصحابه عن مكة عامهم هذا على أن يعودوا إليها فى العام الذى يليه ، ويقيموا بها ثلاثة أيام ومعهم من السلاح السيوف فى قربها، ولا سلاح غيرها.

ولو كان عهد الحديبية هذا قد كتب بعد قتال انهزم فيه المشركون وانتصر فيه المسلمون لوجب أن يكتب على غير هـذا الأسلوب ، فيعترف المشركون كرهاً أو طوعاً بصفة النبوة ولا يردون أحداً من مواليهم أو قاصريهم يذهب إلى النبى ويلحق بالمسلمين .

ولكنه عهد مهادنة أو عهد « إيقاف أعمال العداء إلى حين » كما يسمونه فى اصطلاح العصر الحاضر ، فلا يجوزه شىء من الأصول المرعية فى أمثال هذه العهود من إثبات صفة المندوبين التى لا إرغام فيها لأحد الطرفين ولا مخالفة لدعوى الفريقين ، ومن حفظ كل لحقه فى تجديد دعواه واستئناف مسعاه

فلو أن النبى عليه السلام شرط على قريش أن ترد إليه من يقصدها من رجاله لنقض بذلك دعوى الهداية الإسلامية ، ونقض الوصف الذى يصف به المسلمين . فإن المسلم الذى يترك النبى باختياره ليلحق قريشاً ليس بمسلم ولكنه مشرك يشبه قريشاً فى دينها وهى أولى به من نبى الإسلام

أما المسلم الذى يُرَد إلى المشركين مكرهاً فإنما الصلة بينه وبين النبى الإسلام وهو شىء لا سلطان عليه للمشركين ولا تنقطع الصلة فيه بالبعد والقرب . فإن كان الرجل ضعيف الدين ففتنوه عن دينه فلا خير فيه ، وإن كان وثيق الدين فبقى على دينه فلا خسارة على المسلمين

وما انقضت فترة وجيزة حتى علمت قريش أنها هى الخاسرة بذلك الشرط الذى حسبته غنماً لها وخذلاناً لمحمد صلوات الله عليه ، فإن المسلمين الذين نفروا من قريش ولم يقبلهم محمد فى حوزته رعاية لعهده قد خرجوا إلى طريق القوافل يأخذونها على تجارة قريش وهى أمان فى عهد الهدنة بين الطرفين ، فلا استطاع المشركون أن يشكوهم إلى النبى لأنهم خارجون من ولايته بحكم الهدنة ، ولا استطاعوا أن يحجزوهم فى مكة كما أرادوا يوم أملوا شروطهم فى عهد الحديبية ، ولو قضى العهد بولاية للنبى على من ينفر من مسلمى مكة لجاز للمشركين أن ينقضوه أو يطالبوا النبى بالمحافظة عليه . وتم العهد فعرف من لم يعرف ما أضاء على الإسلام بعد قليل فجهر بمحالفة النبى من لم يكن يجهر بولائه، واستراح النبى من قريش ففرغ ليهود خيبر وللممالك الأجنبية يرسل الرسل إلى عظمائها بالدعوة إلى دينه، وفتح الأبواب لمن يفدون إليه ممن أنكروا بنى قريش وأمنوا أن تكون نصرتهم للاسلام حرباً يبتلون فيها بما لا يطيقون

ويوم نزلت الآية الكريمة على أثر اتفاق الحديبية « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما » لم يفقه الكثيرون معناها فى حينها ولم يتبينوا موضع الفتح من ذلك الاتفاق الذى حسبوه محض تسليم ، ولكنهم فهموا أى فتح هو بعد سنتين ، وعلموا أن من الفتوح ما يكون بغير السيف وما يشبه الهزيمة فى ظاهره عند من يتعجلون ولا يحسنون النظر إلى بعيد

وهكذا تجلت عبقرية محمد فى سياسة الأمور كما تجلت فى قيادة الجيوش فكان على أحسن نهج فى سياسته إذ نادى بعزيمة الحج وهو لم يفتح مكة بعدده وعدته ، وإذ دعا المسلمين وغير المسلمين إلى مصاحبته فى رحلته ، وإذ توخى ما توخى من طريقة المسالمة وإقامة الحجة فى إنفاذ عزيمته ، وإذ قبل العهد الذى كبر قبوله على أقرب المقربين من عترته ، وإذ نظر إلى عقباه ووصل به إلى القصد الذى توخاه .

عباس محمود العقاد

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر تقدم

الجزء الثانى من كتاب

الأيـــام

لعميد الأدب العربى

الدكتور طه حسين بك

الثمن ١٠ قروش

القاهرة
٧٠ شارع الفجالة

الاسكندرية
٢ ميدان محمد على